

مسارات أزمة غزة

: أزمة غزة هل هي أزمة غذاء ودواء أم أزمة في الديناميكية السياسية الفلسطينية؟ سؤال ربما يعرف الجميع إجابته، بل ربما يحلل الجميع أبعادها أكثر من السياسيين أنفسهم. المتفحص لما يجري في غزة يرى أن لما يجري مساراته الداخلية والإقليمية والدولية. مسارات تحاول إسرائيل اللعب على أوتارها أملا في الحصول على الأفضل من الطرف الدولي الذي سيبدأ في العام 2009.

الهدنة التي طالما وصفها وزراء إسرائيليون بأنها هشه تدخل شهرها السادس، هدنة وبحسب مسؤولين أمنيين إسرائيليين فرصة ذهبية، لكن الأهم في تقييمهم أنها ترسل رسالة حول حضور حماس السياسي. حضور تتصارع في تقييمه المؤسسة الأمنية والسياسية مع سياسيين سابقين وأكاديميين إسرائيليين سابقين، فالمؤسسة الأمنية ترى أنه خطر يهدد رغم النفع المؤقت من الهدنة، لكن التيار الآخر يرى في حماس طرفا مقابلا يمكن العمل معه. من هنا فالمسار الأول هو أن المؤسسة الأمنية تدفع باتجاه دفع الأمور في غزة إلى الانفجار، انفجار يمكن أن يدفع باتجاه تراجع حماس عن الهدنة والعودة للعمل المسلح كما عهدته إسرائيل قبل الهدنة، وهذا يعني مزيدا من الصواريخ على المستوطنات، كما قد يعني بعض العمليات في داخل إسرائيل. هذه الخطوة ستخدم ذلك الجناح داخل اللعبة السياسية الإسرائيلية، كما قد يدفع إلى مزيد من الحشد الإقليمي والدولي ضد حماس ووجودها في غزة وسوريا بشكل خاص. هذا المسار تتعثر في سيره إسرائيل بسبب الضغط الإقليمي الخجل عليها الذي يرى أن تبعات الضغط الإسرائيلي تصل إلى عواصم الإقليم وتخرج سياسيا عواصم عربية، لذلك لا بد من التنفيس، وهذا الذي حصل. فقوافل المساعدات التي وصلت إلى غزة ربما تعكس هذا التنفيس، لكن هل يمكن تحويل مليون ونصف المليون فلسطيني إلى متسولي مساعدات؟ وكيف سينعكس ذلك على مسائل الأمن الإقليمي في منطقة متفجرة أصلا؟

في هذا السياق أيضا فإن السياسة الإسرائيلية تشجع وبشكل مباشر على فتح أبواب النقد القادم من عواصم مثل طهران لبعض الدول الإقليمية، ويكفي هنا الإشارة إلى التظاهرات التي قام فيها طلبية إيرانيون أمام السفارات المصرية والسعودية. الإسرائيليون ينتفعون بالضرورة من هذا التموضع وظهور الجبهات المتعددة داخل منطقة الشرق الأوسط، لكن من المهم الانتفات إلى أن تبعات ذلك ستكون على المدى البعيد خطيرة على الأمن الإقليمي، بحيث يزداد اللاعبون الخارجيون في ساحة الأمن الإقليمي الشرق أوسطي وكذلك الخليجي.

المسار الآخر الذي أراه مرتبطا بتأجيج الساحة الفلسطينية وهي على أبعاد أزمة حقيقية بدأت الحرب الكلامية فيها مبكرة، وأقصد هنا انتهاء الفترة الرئاسية للرئيس محمود عباس في شهر يناير 2009، والحديث عن استمراره في الرئاسة حتى تنهياً الأجواء لعقد انتخابات. الأمر الذي رفضته حماس. هذا الوضع مرشح لتطورات أكثر تعقيدا مع بقاء الحرب الكلامية بين من يسيطر على غزة ومن يسيطر على الضفة. الأخطر في هذا الانقسام الآن هو أنه سيضعف أي جهد يمكن أن تقوم به الإدارة الأميركية الجديدة بخطوة لدفع الملف الفلسطيني الإسرائيلي. وبحسب الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر فإن الرئيس الأميركي الجديد باراك أوباما ينوي أن يطلق تحركا جديدا في اتجاه مسيرة التسوية السياسية في منطقة الشرق الأوسط. بقاء وضع الانقسام الداخلي سيضعف إن لم يدفع باتجاه التخلي عن طرح أي مبادرات جديدة، وهو الأمر الذي يقوي مبرر الآخر في نوم الفلسطينيين عن المسؤولية عما آلت إليه الأمور بدلا من إلقاء اللوم على الاحتلال وتبعاته.

أزمة غزة ربما تكشف النقاب أكثر عن أزمة تعيشها الهويات الوطنية وما يسمى بالمشاريع الوطنية. فالتطورات التي حصلت في العراق كشفت النقاب عن الأزمة التي تواجهها دول عربية في فترة الاستقلال، ألا وهي بلورة هوية وطنية تشكل مظلة للوطن توحد أبناءه وتحميه وتشكل مظلة لمشروع التحرر في الحالة الفلسطينية، من هنا فإن مسار تشكيل وبناء هوية وطنية تدافع عن النظام السياسي بالقدر الذي تدافع فيه عن المجتمع والدولة باعتبار أنهما جميعا في نفس السفينة، يبدو أحد أهم الأولويات لمواجهة الآثار السلبية لبعض المسارات غير الأمانة فيما يتعلق بغزة والمشروع الفلسطيني ككل وكذلك بالنسبة للواقع العربي!

mzweiri@aol.com